

## العُذر أو (الاعتذار).. لعبةٌ كلِّ يوم!



(المُعذِّرون) هم الذين يختلقون الأعذار، والأصل في مفهوم (العُذر) هو إظهار الإصلاح في ما صدر من خطأ أو مكروه، ودُمِّل على محمل يرتفع عنه القُبْح والكرهية والجناية، وهو أعمُّ (أوسع دائرةً) من أن يكون في (رأي)، أو (خُلُق)، أو (قول)، أو (عمل).

هو (لعبةٌ كلِّ يوم)، بل كلِّ ساعة، إذ سرعان ما يبادر مَن يكسرُ إناءً للقول: سقط سهواً، أو أن ثمة شيئاً إعترضه فسقط من يده، أو أن باله مشغول بهمَّ معيِّن فلا سلَّ من درجة عنايته، ونادراً ما يقول: سقط بسبب إهمالي!

والطالبُ المتأخِّرُ عن دوامه، وكذلك الموظف الذي يأتي دائرته متأخراً، لا يقول إن طبيعته هي التأخُّر في الحضور والاستهانة بالوقت، بل تراه يقول لك (أخذتني النوم) والنوم سلطان لا أحد يسلم من سلطانه، أو يقول إن ازدحام السيارات أخَّرني، أو يقول، وأنا خارجٌ من البيت حصل معي كذا، أو قد يكون بعض ذلك صحيحاً؛ لكن عند (المُعذِّرين) أصحاب الأعذار الجاهزة أو المكررة اعتادوها.

وقد يُشْهِدُونَ مَنْ يتواطئ معهم في كذبهم وافتراءهم فيقول لك أحدهم (إذا لم تُصدّقني، إسأل فلاناً!!) ممن يشهد له زوراً، ومهما ازدادت وتكاثرت الأعذار فإنّ سبباً واحداً حقيقياً يكون مجهولاً أو مخفياً لا يصدقُ المعتذرُ فيه.

وفي الحياة الزوجية تتطائر الأعذار من الطرفين، تقول الزوجةُ أنّها لم تطبخ اليوم لأنّ جارتها زارتها وشغلتها، أو إنّها ذهبت إلى السوق ولم يسعها الوقت، أو أنّ زيارتها إلى الطبيب حالت دون ذلك، أو أنّ تنظيف البيت استغرق وقتاً طويلاً، وقد يكون بعض ذلك صحيحاً؛ لكنّه - بالضرورة - العذر الرئيس المانع من دون أن تعدّ الطعام، أو أيّة خدمة أخرى من خدمات البيت ومستلزماته.

ويقول الزوج المتأخّر عن عودته إلى المنزل، أنّ صديقاً صادفه في الطريق وشغله، وأنّ مديره استدعاه فأنّخر عنده، أو أنّ الازدحام هو الذي تسبّب في تأخّره، وقد يكون بعض هذه الأعذار والقصص اجترارياً تكرريراً، يتردّد على ألسن المعتذرين بسهولة؛ ولكن بعضهم يُفكّر جيّداً في العذر الذي يحاول حبه وحيافته وإحكامه حتى لا يتسلل الشكُّ إلى قلب الزوجة، وتساورها الطنون، وتذهب بها المذاهب.

وهكذا في أعذار (الخدَم) لـ(مخدوميهم)، وأعذار الموظفين لمدراءهم، وأعذار المواطنين لحكوماتهم، وأعذار الحكومات لمواطنيها، وأعذار الأصدقاء لأصدقائهم، وفي السيرة النبويّة كان ثمة أُناس من المسلمين يعتذرون عن المشاركة في (الجهاد) ضدّ الأعداء، ويقدمون من الأعذار ما يحاولون به الحصول على الإذن بالعودة وعدم المساهمة، كأنّ يقولون بأنّ (بيوتهم عورة) أي ليس هناك مَنْ يحرسها أو يحميها أو يقوم على شؤونها في غيابهم، أو يقولون بأنّ الجوّ حارٌّ شديد الحرارة، وهم لا يطبقون السفرَ في الحرّ، أو يدّعون أنّ نساء الرُّوم الجميلات فتنة، وهم رجال ضعفاء أمام النساء الفاتنات، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ (التوبة/ 90)، أيّ الآتون بالعدر. وستأتي بعض الأعذار التي رصدها القرآن على السنة أهل النفاق، ومن ثمّ، فإنّنا نادراً ما يمرّ علينا يوم لا نصادفُ فيه أُناساً يختلقون الأعذار لأيّ (تقصير) أو (خطأ) أو (قُبْح) أو (إساءة) أو (جناية)، إمّا استسهالاً لارتكاب الأخطاء، أو لدفع ضرر وخطر، أو لكسب ربح أو تعاطف، وفي كلّ الأحوال للدفاع عن أنفسهم.

من هنا، فإنّ من طريف ما قاله بعضُ اللغويين إنّ أصلَ (العُذْر) من (العَذْرَة) وهي الشيء النجس (فضلات الإنسان أو الحيوان)، وعذرتُ فلاناً: أزلتُ نجاسةً ذنبه بالعفو عنه، كقولك عفرتُ له، أي سترتُ له ذنبه. و(العَذْرَة) من الغلام (الذكر) القُلْفَة التي تُزال بعد الولادة، من الفتاة

(الأُنثى) البكارة التي تنزل بعد الزواج، وامرأة عذراء ذات (عَدْرَة)، وكلّ هذه الاستعمالات جامعة لمعنى الرفع والإزالة.